المطلب الثاني

الإدغام وفكه

بدأ المؤلِّف كلامه في هذا المطلب ببيان فوائد الإدغام التي حصرها في أربعة نقاط وهي:

1- إمَّا اقتصادًا في الجهد.

2- وإمَّا لإحداث نسق صوتي.

3- وإمَّا لتغيير البنىٰ المقطعية للكلمة.

4- وإمَّا للعمل علىٰ الوصل. وصرَّح ببعض الأمثلة الخاصَّة بالفائدتين الأولىٰ والثَّانية، وعن الفائدة الثَّالثة ذكر بعض الأمثلة الخاصة بقراءة الحسن البصري بالإدغام بين كلمتين فأدغم الكاف في الكاف في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ﴾ [لقمان: 23]: فالبنية المقطعيَّة بالفكِّ: يَحْ / زُنْ/ كَ/ كُفْ / رُه. والبنية المقطعيَّة بالإدغام: يَحْ/ زُنْكْ/كف/ رُه. فلما وقع المقطع الثالث / كَ/ وهو مقطع قصير مفتوح، بين مقاطع مغلقة، فقد دمج في المقطعين الذي قبله والذي بعده. ولاشكَّ في أنَّ قراءة الحسن قد خالفت القراءات العشر في بعض وجوه الإدغام، غير أنَّ هذه المسألة مما اتَّفق به الإدغام هنا مع الإدغام في قراءة أبي عمرو بن العلاء. وكذلك أدغم تاء المتكلم أو الخطاب في مثلها وأدغم النُّون في مثلها، وكان الحسن يفك الإدغام في بعض الكلمات، فقد قرأ: (لكن أنا هو الله ربي) في الآية: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: 38]، أي أنَّه قرأها بالأصل الذي كانت عليه قبل الإدغام، وقرأ أيضًا: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ في الآية: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة: 233]. وهذه لغة أهل الحجاز. ثم يختم كلامه بأنَّ هذا كله دليل علىٰ أنَّ اختيارات الحسن في مسائل الإدغام كانت موافقة لفصيح اللسان العربي، هذا مجمل ما ذكره المؤلِّف في هذا المطلب.

ولوأنَّ المؤلِّف بدأ بتعريف الإدغام وبيَّن الفرق بينه وبين المماثلة خاصَّة أنَّه في ضوء الرَّبط بين الدِّراسات القديمة والحديثة، ثم ذكر الأسباب التي تدعو إلىٰ الإدغام، ثم بيَّن أقسام الإدغام، وفي النِّهاية ذكر موقف اللهجات العربية لاكتملت الصُّورة في هذا الباب.

1- الإدغام: «هو اللفظ بحرفين حرفًا كالثاني مشددًا»[1]. والمماثلة هي: «تحويل الفونيمات المتخالفة إلىٰ متماثلة إما تماثلا كليًّا أو جزئيًّا»[2]. فالعلاقة بينهماعموم وخصوص وجهي: «يجتمعان في حالة التَّفاعل الصَّوتي الكامل، وتنفرد المماثلة بحالات التأثير النَّاقص، وينفرد الإدغام بحالة التَّضعيف، علىٰ أنَّ الإدغام الاصطلاحي يحدث أحيانًا مع بقاء أثر للصَّوت المدغم، كما في إدغام المتجانسين، وكما هي الحال في الإدغام بغنَّة، ومع هذا تظل العلاقة بين الاصطلاحين كما حدَّدناها عمومًا وخصوصًا وجهيًّا»[3].

2- أسباب الإدغام: يحدث الإدغام نتيجة لثلاثة أسباب وهي:

أ- التَّماثل: وهو أن يتفق الصَّوتان في المخرج والصِّفة كالباء في الباء والتَّاء في التَّاء.

ب- التَّجانس: وهو أن يتفق الصَّوتان في المخرج ويختلفا في الصَّفة كالذَّال في الثَّاء والثَّاء في الظَّاء.

ج- التَّقارب: وهو أن يتقارب الصَّوتان مخرجًا أو صفة أو مخرجًا وصفة وذلك كالدَّال والشِّين والتَّاء والثَّاء.

3- أقسام الإدغام: ينقسم الإدغام إلىٰ قسمين:

---

(1) النشر 1/ 274.

(2) دراسة الصوت اللغوي ص378.

(3) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي د. عبد الصبور شاهين ص283 - مكتبة الخانجي - الطبعة الأولىٰ 1408هـ-1987م

أ- الإدغام الكبير: وهو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركًا. ويكون في المثلين والمتقاربين والمتجانسين.

ب- الإدغام الصَّغير: وهو ما كان الحرف الأول منه ساكنًا. ولا يكون إلا في المتقاربين والمتجانسين[1].

4- موقف اللهجات العربية من الإدغام: باستقراء كثير من النُّصوص الواردة الخاصَّة بالإدغام والفكِّ لوحظ نسبة الإدغام إلىٰ قبيلة تميم أوالقبائل البدويَّة عامَّة، ونسبة الفكِّ إلىٰ الحجاز. وهذه قد اقتصر المؤلِّف علىٰ ذكرها فقط دون توثيقها أو نسبتها إلىٰ القبائل الحضريَّة عامَّة، وهذا الحكم علىٰ سبيل الغالب كما هو معروف في عالم اللهجات العربيَّة التي لا تعرف الأحكام العامَّة بل قد يشذُّ هذا الحكم في بعض الأحيان[2].

(1) ينظر: النشر 1/ 274، 275، 278.

(2) ينظر: الكتاب 4/ 437، 450.